

فاعلية الإعلام الثوري في الجبهتين الداخلية والخارجية للثورة الجزائرية... مقارنة تاريخية امبريقية في الوسائل و الأثر

الأستاذ: حليمي مصطفى

نص المداخلة:

إن صناعة ما يسمى بـ " الثورة " يلزم أصحابه بإقناع الجميع أو الأغلبية ممن هم محل الصراع و هو الأمر الذي اضطلعت به جبهة التحرير الوطني التي خاضت حربا تحريرية ضد الاستعمار الفرنسي، لقد راهنت الجبهة كثيرا على الشعب الجزائري و لهذا حاولت في تقديم صورة و خطاب على مستويات عديدة منها ما يناسب الشعب الجزائري المتعلم و الأمي، الكبير و الصغير، الرجال و النساء. و ما يناسب شعوب العالم بمختلف توجهاتها، لقد أدركت منذ البداية أهمية وسائل الإعلام و الدعاية التي انتشر استخدامها بسرعة في تلك الفترة التاريخية و أصبحت الكثير من الحروب تحسم على المستوى الإعلامي ، و لهذا قامت باستخدام كل وسائل الاتصال الجماهيري¹ التي يمكنها أن تؤثر في الشعب الجزائري و الرأي العام العالمي، فاستعملت البيانات، المؤتمرات، المناشير، الصحف ، الإذاعة ، السينما .

إن محاولة معرفة مدى فاعلية هذه الوسائل الإعلامية يقودنا إلى اعتماد المناهج العلمية المتخصصة في دراسة الوسيلة و مدى تأثيرها، و هنا يكون حريا بنا الالتزام بالمنهج التاريخي لاسترجاع المعطيات التاريخية و تحليلها، و في خضم هذه الدراسة التاريخية نقوم بإخضاع و دراسة كل وسيلة من هذه الوسائل وفق المنهج الإمبريقي الذي يتيح لنا إدراك العلاقة بين الوسيلة و مدى تأثيرها، كل هذا سنستعرضه في هذا البحث من خلال المحاور التالية

موقف الإعلام الفرنسي من العمليات الأولى لجيش و جبهة التحرير الوطني :

أعلنت الحكومة الفرنسية عبر وسائلها للإعلام أن العمليات الحربية التي حدثت ليلة الفاتح من نوفمبر هي مجرد أعمال فردية أو "مجموعات صغيرة"² منعزلة تحاول الإشهار لنفسها، و أبلغ الحاكم العام روجي ليونار سكان الجزائر أنه سيتخذ كافة التدابير اللازمة لضمان أمنهم و قمع التصرفات الإجرامية المرتكبة³ و أن الحكومة جهزت كل قواتها للتصدي لأعمال الشعب هذه، و أن الهدوء سيخيّم على هذه المناطق المعزولة و ستسترجع السلطات الفرنسية الأمن و الاستقرار و تتحكّم في زمام الأمور، و صرح كاتب الدولة للقوات المسلحة

¹ الاتصال الجماهيري : وهو الذي يتم باستخدام وسائل الإعلام الجماهيرية و يصل إلى جمهور عريض متباين الاتجاهات والمستويات تصلهم الرسالة في نفس اللحظة و بسرعة فائقة مع مقدرة على خلق رأي عام و على تنمية اتجاهات و أنماط من السلوك غير الموجود أصلا و المقدرة على نقل الأفكار و المعارف و الترفيه. و الاتصال الجماهيري هو التسمية العلمية للإعلام ينظر : فهد بن عبد الرحمان الشميمري ، التربية الاعلامية، كيف نتعامل مع الاعلام ، ط 1 ، مكتبة الملك فهد الوطنية ن الرياض ، 2010 ، ص 48

² Le monde, 02/11/1954

³ Le journal d'alger, 02/11/1954 أو ينظر : Alger Républicain, 03/11/1954

جاك شوفالييه (Jacques Chevaier) بعد أيام قليلة من بدأ الثورة أن " الوضع يتطور بسرعة في صالحنا. إنني متفائل"⁴

منذ تاريخ الفاتح من نوفمبر 1954 بدأت الترسانة الإعلامية الفرنسية في تبني سياسة خاصة تجاه ما يحدث في الجزائر، حيث توجه الخطاب الإعلامي الفرنسي إلى اعتماد أسلوب الحرب النفسية و الدعائية و العمل على تجريد المجاهدين الجزائريين من كل الخصال التي يفرضها الظرف الثوري كالبطولة و الشجاعة و التضحية و الرحمة و الشفقة، و حاولت هذه الوسائل الإعلامية تمرير أفكار معينة من خلال خطابها الموجه للجماهير الشعبية الجزائرية و حتى الفرنسية لتقنعها بمجموعة من الأفكار الخاطئة، حيث أبرزت صورة فرنسا القوية و الحازمة و غير المتسامحة في موضوع " كالتمرد و العصيان " و صورت بدقة صورة المؤسسات الاقتصادية و الاجتماعية التي تستهدفها عمليات الثورة و دأبت على تقديم شهادات مواطنين تروي "وحشية و فظاعة" أعمال " الخارجين عن القانون " و بالتالي رسم و تمرير صورة سيئة عن المجاهدين و عن الثورة⁵ كما سعت إلى التقليل من أهمية عمليات جيش التحرير و وصفها دائما بالفاشلة مع إظهار بطولة و شجاعة القوات الفرنسية التي تعمل على حماية جميع السكان، و ما يمكن أن نسجله للدهاء الإعلامي الفرنسي المتآمر هو دعوته المستمرة و الملحة لاتخاذ كل الاجراءات الأمنية لإعادة النظام، و في هذا تحضير نفسي للسكان و استعداد لإجراءات قاسية ضد الجزائريين حتى يثبتوا أن الجزائر فرنسية و ستبقى كذلك إلى الأبد.⁶

أنشأت الإدارة الاستعمارية من أعلى هرمها ترسانة قوية جدا من أجهزة الإعلام و العمل النفساني⁷ حيث أنشأت مصلحة " العمل النفساني و الإعلامي " لدى ديوان وزير الدفاع الوطني الفرنسي تحت مسؤولية العقيد لشروا ، بالإضافة إلى إنشاء مكتب الدراسات و الاتصالات و مركز التنسيق ما بين الجيوش، و مركز الإعلام العام⁸ و المجلة العسكرية للإعلام⁹ و كذا مركز الإرشاد و التهذئة و مناهضة المقاومة، و يضاف إلى كل ذلك المكاتب الإدارية المختصة¹⁰ SAS و أجهزة الدعاية العادية كالمجلات التي تأتي على رأسها مجلة اتصالات¹¹

⁴ Le Figaro, 10/11/1954

⁵ لزهرة بن ديدة ، دراسات في تاريخ الثورة الجزائرية و أبعادها الإفريقية ، دار السبيل للنشر و التوزيع، 2009 ص 191

⁶ نفس المرجع ص 193

⁷ إن عدد مستخدمي المصالح النفسية و الإعلامية الفرنسية قد بلغ 884 ضابط و 603 ضابط مساعد و كذلك 1740 جندي عام 1958 و كانت موزعة على 660 دائرة و كان هؤلاء الضباط الذين كانوا على اتصال بالأهالي يسمون بضباط الشؤون الأهلية، و كانت مهمتهم إحباط معنويات الجزائريين من خلال عمل يومي مستمر و متعدد الأشكال و الصور.

⁸ مركز الاعلام العام : هو هيكل العمل النفساني للجيش الفرنسي ملحق بالمكتب العسكري و بمديرية الشؤون السياسية للمفوضية العامة ، مهمته الإعلام و الصحافة ينظر : عاشور شرفي ، قاموس الثورة الجزائرية ، 1954 - 1962 دار القصة للنشر ، الجزائر 2007 ص 324

⁹ المجلة العسكرية للاعلام : ادارها العقيد لاشوي و هي موجهة للاطارات العسكرية و تنتشر التوجهات الجديدة في الحرب المناهضة للعصابات ينظر : عاشور شرفي ، المرجع السابق ، ص 313

¹⁰ تنظم هذه المكاتب خبراء في الحرب النفسية و حرب الدعاية و علماء و خبراء في علم الاجتماع و علم النفس و أجهزة الاستخبارات بفرعها المتعددة لنشر ثقافة اليأس و الإحباط في نفوس الشعب في محاولات يائسة لتثبيط العزائم و الإساءة للثورة .

و كذلك الصحف و الإذاعة و المناشير و الإنتاج السينمائي.¹² و في هذا الصدد يجدر بنا الإشارة إلى أن هذه الترسانة فشلت أمام الإعلام الشفهي البسيط الذي كان بداية و انطلاقا لإعلام جبهة التحرير الوطني الذي لم تجد له السلطات الفرنسية من سبيل للقضاء عليه سوى استخدام أسلوب التحقير و الاستخفاف به و وصفه بالكذب و التقاهة و أطلق عليه أوصافا و نعوتا ك "راديو العرب" "راديو الرصيف" ...¹³

غاية الثورة من اعتماد وسائل الإعلام

- انتبهت جبهة التحرير الوطني منذ البداية إلى أهمية سلاح الإعلام في حسم المعركة الدائرة بينها و بين الاستعمار الفرنسي و لهذا استثمرت فيه منذ البداية و كانت تسعى إلى بلوغ الأهداف التالية :
- اتصال الثورة بالشعب و إبلاغ المواطنين حقيقة ما يجري من صراع مسلح مع العدو.
 - تعبئة الجماهير الشعبية لتلتف حول الثورة بغية التحرر و الاستقلال.
 - تحصين المواطنين الجزائريين من الإعلام الاستعماري و حربه النفسية و الإيديولوجية.
 - الحرص الشديد على دقة البيانات و البلاغات المقدمة إلى وكالات الأنباء الأجنبية خشية تحريفها أو عدم فهمها .
 - تحطيم الفكرة التي ظلت ترددها فرنسا من عام 1830م و التي تؤكد أن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا و إقناع الرأي العام الفرنسي و العالمي بأن هناك شعبا جزائريا له أصالته و تاريخه و تراثه و لا يمكن لهذا الشعب أن يصبح فرنسا في جميع الظروف.

و من خلال تحقيق هذه الأهداف الأولية يمكن تكوين الإنسان الجزائري الجديد القادر على تحمل مشاق الثورة مهما طالت و مهما بلغت جسامتها أحداثها و ذلك بفضل رفع مستوى الوعي الثوري الكفيل بتأدية أدوار أساسية في عملية التغيير الاجتماعي بالإضافة إلى الكفاح المسلح¹⁴

القراءة التاريخية الامبريقية لوسائل الاعلام الثورية

بيان أول نوفمبر 1954:

يعد بيان أول نوفمبر أول عمل إعلامي يوزع على نطاق واسع يعلن عن ميلاد الثورة الجزائرية، و يستطيع اختراق إعلام الاستعمار بنجاح تام و يتوجه إلى الجماهير الجزائرية ليخاطبها بلغة الثورة و التحرر، و

¹¹ عاشور شرفي ، المرجع السابق ، ص 28

¹² اتصالات (CONTACTS) مجلة دعائية للعمل النفساني في الجيش الفرنسي اشرف عليها العقيد كونه كانت تعرض سياسة التهدة و تدافع عنها ينظر : المرجع السابق ، ص 245

¹³ أحمد حمدي ، الثورة الجزائرية و الإعلام ، دراسة في الاعلام الثوري ، الطباعة الشعبية للجيش ، الجزائر ، 2007 ص ص

يتمثل هذا البيان في نص ثوري صاغته لجنة الستة بمعونة محمد العيشاوي الصحفي المناضل في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية MTLD و سحب بالرونيو بإغيل إيمولا بتيزي وزو عند عائلة زعموم ، و كان هدفه الرئيسي توضيح موقف أصحابه و اتجاههم للرأي العام و إلى المحتل¹⁵ ، و قد وزع البيان في الليلة الفاصلة بين 31 أكتوبر و 1 نوفمبر 1954 في الجزائر خاصة في صناديق رسائل الأثرياء من سكان الجزائر ثم في فرنسا و أذيع على الرأي العام الداخلي و الدولي.¹⁶

وجه البيان الأول للثورة الجزائرية بنصه القصير رسائل عديدة إلى الشعب الجزائري و الإدارة الكولونيلية و حتى الخارج، حيث شرح الأسباب العميقة التي دفعت بجهة التحرير الوطني إلى القيام بالثورة و الهدف الرئيسي لهذه "الثورة المشروع" و كذا توضيح الالتباس الذي يمكن إن يقع فيه الرأي العام المحلي و الدولي من جراء الدعاية الاعلامية الامبريالية المضادة. و مما يلاحظ على هذا البيان أنه بدأ بمسألة ذات بعد إعلامي صريح و هو يخاطب الشعب الجزائري الذي كان بحاجة إلى توضيح لما سيجري من عمليات ثورية في كامل الجزائر، و يتجلى ذلك في العبارة "أيها الشعب الجزائري" التي شمل بها البيان جميع أطراف الشعب الجزائري من مسلمين و مسيحيين و يهود و هو خطاب ذكي فيه من المرونة و الدبلوماسية ما ينم عن مستوى عال من النضج و القدرة على صناعة الخطاب و الإقناع معا.

و من الناحية النظرية فإن بيان جبهة التحرير الوطني كتب وفق منهج تتجلى فيه المبادئ الإعلامية و وفق النظريات العلمية، حيث يتضمن بيان أول نوفمبر 1954 النقاط التالية:¹⁷

- تحديد الجمهور المخاطب (المن . . .) .
 - التوعية والتعبئة الجماهيرية (محتوى)
 - التحصين ضد محاولات التزييف (محتوى)
 - الالتزام بمبادئ الثورة والعمل على توضيحها (محتوى)
 - كشف الحقيقة امام الجماهير والصدق في الاخبار (اعلام و اعلام مضاد)
- و يتضح ذلك أكثر من خلال نموذج لازويل¹⁸ في الجدول التالي :

النموذج النظري	النموذج العملي التطبيقي
من ؟ من هو المرسل و المتصل و مصدر الرسالة	جبهة التحرير الوطني
يقول ماذا ؟ ما هي الرسالة و المضمون	الإعلان عن قيام ثورة تحريرية

¹⁵ عاشور شرفي ، المرجع السابق ، ص 39

¹⁶ Mohamed harbi , benyamine stora : la geurre d'algerie 1954 – 1962 edition robert la font . paris , 2004 , p 187

¹⁷ احمد حمدي ، المرجع السابق ، ص 54

¹⁸ فهد بن عبد الرحمان الشميمري ، المرجع السابق ، ص 49

بيان مكتوب (بيان أول نوفمبر 1954)	بأية وسيلة ؟ ما هي الوسيلة الاتصالية
الشعب الجزائري و العالم	لمن ؟ من هو المستقبل و المتلقي
استجابة الشعب و التحاقه بالثورة	و بأي تأثير ؟ ما هو التأثير الذي يحدث على المتلقي

لقد استطاعت جبهة التحرير الوطني حديثة التأسيس الاستثمار في الأفكار الوطنية لحركة انتصار الحريات الديمقراطية و في جمهورها الذي صنعته طيلة عقود، و هنا يمكن أن نؤكد أن بيان جبهة التحرير قد بُسِطَ على أرضية و جماهير تملك قابلية للثورة و أن جبهة التحرير امتلكت قوة التأثير¹⁹ بفضل إرث التيار الاستقلالي الذي كان قد حَصَرَ الجماهير الجزائرية تحضيراً سيكولوجياً و اجتماعياً و سياسياً لِأَنْ يتقبلوا فكرة اسمها "الثورة" ، و لهذا نجد أن بيان أول نوفمبر حقق تأثيراً متعدد الأبعاد²⁰ في جمهور تحيط به ظروف مناسبة جدا لمحتوى البيان.

إجمالاً، يمكن القول أن بيان 1954 و في سياق تحديد هدفه العام قد حمل الملامح و الخطوط العريضة لمشروع مجتمع متكامل يتأسس ضمن إطار دولة جزائرية وطنية حرة و عادلة و ديموقراطية ذات سيادة في إطار المبادئ الإسلامية مستجيبة بوفاء لعناصر هويتها الحضارية و خصوصياتها القومية، يفخر مواطنها بالإنتماء إليها و خدمتها و حراسة وجودها ملغية كل ارتباط بالنظام الكولونيالي الظالم و المتعفن الذي عطل حركيتها و دورتها التاريخية طيلة قرن و ثلث القرن من الزمن

مؤتمر الصومام وتنظيمه للجهاز الاعلامي 1956:

جاء مؤتمر الصومام بالعديد من الحلول للمشاكل التي كانت تواجهها الثورة الجزائرية في مجال الإعلام و الدعاية ، فقد تطرق في منهجه السياسي و في قراراته إلى هذا المجال. و فصل في الجانب الذي عانت منه الدعاية الجزائرية و المتمثل في انعدام التنسيق بين الأجهزة الإعلامية الناطقة باسم الثورة، و قد ورد في القسم الثالث من المنهج السياسي للميثاق عنوان : " وسائل العمل و الدعاية"²¹ و مما جاء فيه :

- الرد بسرعة و بوضوح على جميع الأكاذيب و استنكار أعمال الاستفزاز

¹⁹ لقادة الرأي في أي جمهور دور فعال في تأييد مضمون الرسالة الإعلامية أو رفضها أو محاربتها و في هذا الشأن كانت جبهة التحرير الوطني قد استفادت من صيتها القوي و تيارها الاستقلالي الذي انبثقت عنه. ينظر: محمد علي ابو العلا ، فن الاتصال بالجماهير بين النظرية و التطبيق ، دار العلم و الايمان للنشر و التوزيع ، 2014 ص 52

²⁰ التأثير متعدد الأبعاد: هو ظاهرة سيكولوجية ترتبط بالحالات النفسية التي يكون عليها الفرد و الجماهير في العملية الاعلامية الاتصالية و ترتبط ببعض المتغيرات الخاصة بمستقبل الرسالة و شروط هذا الاستقبال و مضمون الرسالة ايضا. ينظر : يوسف تمار ، نظرية agenda setting دراسة نقدية على ضوء الحقائق الاجتماعية و الثقافية و الاعلامية في المجتمع الجزائري، أطروحة دكتوراه، إشراف نصر الدين لعياضي ، جامعة الجزائر كلية العلوم السياسية و الإعلام قسم علوم الاتصال و الاعلام، 2004 - 2005 ، ص 44

²¹ ميثاق مؤتمر الصومام ، الوثيقة السياسية الأولى للثورة الجزائرية، في مجلة أول نوفمبر ، اللسان المركزي للمنظمة الوطنية للمجاهدين ، العدد : 51 ، 1981، ص. 30 - 45

- ضرورة الابتعاد عن الدعاية الكاذبة و الاعتماد على الحقائق و أن تكون الدعاية ناضجة و جدية و موزونة و مأكرة على ألا تفتقر إلى الصلابة و الصراحة و الاتقاد الثوري. أما فيما يخص نشر الأحداث فكان بمجرد أن ينفذ الفدائي عمله العسكري يبدأ العمل الإعلامي في إشاعة الحدث لفائدة الثورة.
- تكليف المحافظين السياسيين بدور رجال الإعلام و الإشراف على كل ما يتعلق بالدعاية و الأخبار و التوجيه و في هذا الصدد أنشأت لجان الدعاية للإشراف على إذاعة و نشر الأحداث و الأخبار و تعليمات جيش و جبهة التحرير الوطني.
- إكثار مراكز الدعاية و تزويدها بآلات المتابعة و الطباعة و الورق (لنسخ الوثائق الوطنية و طبع المنشورات المحلية)
- طبع رسائل في الثورة و نشره داخلية للتعليمات و الإرشادات الموجهة للإطارات.
- تنصيب جبهة التحرير تنصيبا نظاميا في عامة البلاد في كل مدينة و قرية و عرش و حي و معمل و جامعة و مدرسة، كما يجب الرقي بتفكير المسؤولين بما يشرف السمعة العالمية التي أحرزت عليها الجزائر السائرة نحو الحرية و الاستقلال²²

الصحافة :

كانت الصحافة تنقسم إلى ثلاثة مجموعات : صحيفة المجاهد (الرئيسية) ، المقاومة ، صحف الولايات ، صحف التنظيمات الشعبية.

صحيفة المقاومة : بعد انطلاق الثورة الجزائرية رأت جبهة التحرير الوطني ضرورة إنشاء صحيفة مكتوبة تابعة لها تتطرق باسمها و تشرح مواقفها و تتبع خطواتها، فأصدرت في البداية جريدة المقاومة الجزائرية باللغتين العربية و الفرنسية حجمها 14*61 بشكل صحيفة في ثلاث طبعات :صدرت الطبعة الأولى في باريس و كانت تستهدف الجالية الجزائرية في فرنسا إضافة إلى المجتمع الفرنسي نفسه لتتويره بحقيقة المعركة الدائرة بالجزائر و سميت بالطبعة (أ). أما الطبعة الثانية و التي سميت (ب) فكانت تصدر بالمغرب الشقيق و أما الطبعة الثالثة و التي سميت (ج) فقد صدرت من تونس باللغة العربية و كانت نصف شهرية ثابتة تطبع في مطبعة صغيرة بنهج المفتي قرب جامع الزيتونة.

صحيفة المجاهد: ظهرت صحيفة " المجاهد " اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني لأول مرة كنشرة للثورة الجزائرية في جوان من سنة 1956 بالجزائر، باللغة الفرنسية ثم تُرجمت بعد ذلك إلى اللغة العربية . و قد جاء في افتتاحية العدد الأول ما يلي: "ستكون " المجاهد " بالإضافة إلى جريدة " المقاومة الجزائرية "اللسان الناطق المأذون له أن يتكلم باسم جبهة التحرير الوطني، كما ستكون المرآة التي تتعكس فيها نشاطات جيش التحرير الوطني و ستنبأ "المجاهد" مكانتها لتكون سَمْعَ الرأي العام و بصره و صوته و

²² محمد لحسن ازغدي ، مؤتمر الصومام و تطور ثورة التحرير الجزائرية ، 1956 - 1962 دار هومه الجزائر 2009 ص

لتزوّد الشعب بالأخبار الحقيقية فتكون صلة الوصل بينه و بين مجاهدي جيش التحرير الوطني". و منذ ذلك الحين، بعد صدورها، قامت صحيفة" المجاهد " بدور فعال و أساسي في إبلاغ الرأي العام الدولي بحقيقة الثورة الجزائرية، و كذا أداة لتعبئة الرأي العام الداخلي و توجيهه في النقاط المعلومات الحقيقية التي هو في حاجة ماسة إليها قصد تتبع مسار الثورة و جنود جيش التحرير الوطني في عملياتهم المتواصلة ضد القوات الإستعمارية، و سرد مراحل المقاومة التي يبديها الشعب الجزائري. و كان أول عدد من جريدة "المجاهد" قد صدر في الجزائر العاصمة في جوان 1956 في شكل نشرية مقاسها 27 x 31 سم. و تواصل صدورها حتى العدد رقم: 6 في جانفي 1957 ، أي بمعدل عدد واحد كل شهر . و خلال معركة الجزائر كشفت مطبعة المجاهد، و كان وقتها العدد السابع تحت الطبع، فأتلقت قوات الاحتلال المطبعة والوثائق و لم يرى العدد السابع النور. و قد أصدرت صحيفة المجاهد إبان فترة الثورة التحريرية 120 عددا وصلنا منها 116 عددا و تضمنت 1386 مادة إعلامية توزعت على أنواع الصحيفة كما يأتي (عدا الأخبار) :

114 افتتاحية (هناك عدنان بدون افتتاحية و اربعة اعداد مفقودة)

209 مقالات

273 تقريرا صحفيا

200 تعليقا

149 تحقيقا صحفيا

50 حديثا صحفيا

154 دراسة

127 عمودا صحفيا²³

صحف أخرى خلال الثورة:

إلى جانب المجاهد صدرت صحف أخرى خلال فترات مختلفة أثناء الثورة، منها جريدة "العامل الجزائري" لسان حال الاتحاد العام للعمال الجزائريين، و جريدة "الشباب الجزائري" لسان شباب جبهة التحرير الوطني. و النشرات المختلفة التي كانت تصدرها الولايات داخل الجزائر، و كذلك النشرات التي أصدرها اتحاد الطلبة الجزائريين.

و كانت وزارة الأخبار تصدر نشرة سياسية نصف شهرية باللغتين العربية و الفرنسية في 12 صفحة ، يمكن اعتبارها صورة مصغرة من المجاهد. كما صدرت في شهور مارس و ماي و جوان 1960 نشرة شهرية تشمل أهم التعليقات و الأشعار و الأخبار التي كانت تذاع في ((صوت الجزائر)) في إذاعة تونس. و كانت بعض النشرات و المطبوعات السياسية التي أصدرتها وزارة الأخبار في بعض المناسبات السياسية لتوضيح بعض جوانب الحرب التحريرية أو الرد على الدعايات الفرنسية مثل :

1 . الثورة الجزائرية . تحرير الجزائر .

2 . إفريقيا تتحرر .

3 . إفريقيا في طريقها إلى التوحد .

طبعت هذه النشرات الثلاث في جانفي 1960 بمناسبة المؤتمر الثاني للشعوب الإفريقية. و هناك نشرات أخرى:

1 . ” النابالم في الجزائر ” ، في أوت . 1960

2 . ” معسكرات التعذيب ” ، في أكتوبر . 1960

3 . ” عبر ولاية الجزائر ” ، في مارس . 1960

4 . ” الجميع جزائريون ” ، في مارس 1961 .

5 . ” صحراء الجزائر ” ، في أوت 1961 .

صحف الولايات (النشرات²⁴ الولائية): لقد صدرت أول نشرة بالولاية الأولى (الأوراس) و اسمها

(الوطني) و كان ذلك سنة 1955 و تضمنت أهم الأخبار التي تخص الولاية و من محتوى العدد الأول نذكر:

- حوصلة بامضاء (الوطني)

- انتصارات معركة الجرف

- حوصلة أربعة أشهر من الكفاح (جويلية، أوت، سبتمبر، أكتوبر)

ولم تكن نشرية الوطني هي الوحيدة بل توالى النشريات من مختلف الولايات تصدر بصفة دورية لتوضح

المواقف وتفسر الرؤى وتجند كافة طبقات الشعب للمعركة الفاصلة وصدرت هذا النشريات على النحو التالي :

- النشرة الاولى : نشرة (الوطني)

- النشرة الثانية : نشرة (الجبل)

- النشرة الثالثة : نشرة (النهضة)

- الولاية الرابعة : نشرة (حرب العصابات)

- الولاية الخامسة : نشرة (صدى التيطري)

- الولاية السادسة: نشرة (صدى الصحراء)

و إجمالاً، فإن الصحف بوصفها من أقدم الوسائل الإتصالية و أكثرها انتشاراً لدى بعض الجماهير تعتبر

- الصحف - الأقدار على ترسيخ الرسالة و تعميق فهمها لدى هذه الجماهير، حيث تفتح الصحف عقل القارئ

على مواضيع بعينها و تتغمس فيها بتفاصيل و حجج يبني من خلالها قناعاته و يطرح انتقاداته مما يمكنه من

التفاعل الواعي مع قضية تطرح، و قد استطاعت الصحافة الثورية و على رأسها صحيفة "المجاهد" القيام بدور

²⁴ تعتبر النشريات من الوسائل الاعلامية الهامة و تتمثل في ورقتين او اكثر تحوي موضوعا من المواضيع توزع على الناس

مجانيا من اجل اطلاعهم بشيئ او حدث من الاحداث و هي تختلف عن المنشور الذي يكون في ورقة واحدة

فعال و أساسي في إبلاغ الرأي العام الدولي بحقيقة الثورة الجزائرية، وكذا أداة لتعبئة الرأي العام الداخلي و توجيهه في النقاط المعلومات الحقيقية

و بالإضافة إلى ذلك فإن قراءة تحليلية تقنية و نظرية تحيلنا إلى أن الصحافة الثورية كوسيلة اتصالية ذات مفعول قوي غير منته، لأن البيئة الإتصالية لتلك الفترة التاريخية تتميز بقلّة الصحف المعروضة و قلة المواد الإعلامية المتناولة و لهذا فإن صحيفة واحدة ستؤدي غرضا كبيرا و بفعالية لأن المتلقي يعكف على دراسة و قراءة النص و التدقيق فيه بالسرعة التي يريدها و مراجعة ما سبق قراءته بسهولة و من دون أن يمثل كثرتها أو تنوعها عائقا يحول دون صدور الاستجابات المعرفية عند المتلقي، في حين أن الرسالة في النص التلفزيوني المسموع و المرئي تأتي وسط كم هائل و متتابع من البرامج و الأخبار السريعة التي تحد من قدرتها على تفعيل استجابات معرفية بالمقارنة مع حجم ما توفره الرسالة الصحفية و هو ما ينعكس على مستوى بناء الاتجاه و تغييره على اعتبار الأهمية القصوى التي يمثلها المضمون الإعلامي في تركيبة المكون المعرفي.

الإذاعة²⁵ السرية :

هنا إذاعة الجزائر المكافحة "صوت جبهة التحرير الوطني تخاطبكم من قلب الجزائر"، "صوت الجزائر الحرة"، "هنا صوت الجزائر المجاهدة". بهذه الكلمات الجهادية و الأصوات الثورية تعرف الشعب الجزائري على إذاعته الوطنية، في أوج قلب الثورة التحريرية. في يوم 16/12/1956م لتأسيسها²⁶، بأمر من جيش التحرير و بقيادة حركة التسليح و الاتصالات العامة و بإيعاز من العربي بلمهيدي (1923-1957) الذي تفتن لفكرة استغلال كفاءة عناصر سلاح الإشارة، إلى سلاح حرب الأمواج الإذاعية، فكلف عبد الحفيظ بوصوف (1926-1980) بإنجاز و تحقيق المشروع، الذي أحضر عتاده مسعود زقار (1926-1987) الذي كانت تربطه علاقات خاصة برجال السياسة و المال و الأعمال الغربيين و الأمريكيين خاصة. و الذي تمكن بكفاءته السياسية من اقتناء جهازين كبيرين من القواعد الأمريكية، كانا يستعملان في ربط وحدات الجيش على المسافات البعيدة ، و قد تم استعمالهما في البث الإذاعي بعد إدخال عليهما بعض التعديلات²⁷ ، و أصبحت محطة إذاعية متنقلة على ظهر شاحنة أمريكية من نوع GMC تحمل جهاز ارسال RC399 قوته 400 واط و جهاز تسجيل صوت و ميكروفون و جهاز مزج الموسيقى بالصوت و عمودين بالنسبة للهوائي و مولد الكهرباء، أما برامج هذه الإذاعة فكانت تبث على الهواء مباشرة عبر موجة قصيرة بمعدل ساعتين في اليوم على الموجة القصيرة. (ساعة بالعربية و نصف ساعة بالأمازيغية و نصف ساعة بالفرنسية)، و كانت برامج الإذاعة تحتوي

²⁵ الإذاعة في الجزائر: دخلت الإذاعة إلى الجزائر عام 1925 مترامنة مع دخولها إلى فرنسا ن تاريخ بدا البث بالعربية في

1948 ن تم تفتتاح استوديو لانتاج حصص بالعربية و القبائلية في 1957 ينظر : عاشور شرفي ، المرجع السابق ، ص 31

²⁶ عمار قليل ، ملحمة الجزائر الجديدة ، ج 2 دار البعث للطباعة و النشر ، الجزائر 1991 ، ص 105

²⁷ المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، التسليح و المواصلات أثناء الثورة التحريرية 1954-1962، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، منشورات وزارة المجاهدين ، الجزائر ، 2001 ، ص.22،21.

أخبارا عسكرية و سياسية عن إنجازات الجبهة و أوامرها و تعليقات بالفصحى و الدارجة²⁸ وكانت مصادر الأخبار في مرحلة التنقل مستنقات في أغلبها من مختلف الإذاعات ، أما بالنسبة للإذاعة الثابتة فكانت تعتمد على منشورات الثورة و في مقدمتها جريدة المجاهد، و كانت الإذاعة تعطي أهمية لأدب الثورة ، و بث توجيهات القيادة الثورية و القيام بتحليلها و بث الأناشيد الوطنية و الحماسية. و من أهم برامج الإذاعة السرية: الجزائر في أسبوع ، من أدب الثورة ، أخي المواطن ثق في نفسك ، قارتنا السمراء.²⁹

و تعد الإذاعة السرية الجزائرية مكسبا هاما وسلاحا استراتيجيا دعمت به الثورة وسائلها في مجال الاتصال من خلال الأثر العميق الذي خلفته لدى الجماهير الشعبية التي كانت متعطشة إلى أي صوت يربطها بالثورة و المجاهدين و أخبارهم³⁰ و قد ساهمت هذه الإذاعة الموجودة بالجزائر أو بعواصم العالم في تحريك مشاعر الدول الشقيقة و الصديقة لمساعدة و مساندة كفاح الشعب الجزائري و الوقوف إلى جانب ثورته التحريرية العادلة، فتعددت بمدنها و عواصمها المحطات الإذاعية المدوية "لصوت الجزائر المكافحة" فكانت (تطوان - الناظور - طنجة - وجدة - الرباط) بالمغرب، و(طرابلس بن غازي - مرسى مطروح) ليبيا، و(القاهرة صور العرب) بمصر، و(بغداد - دمشق - الخرطوم - الاردان - الكويت - السعودية - بكين - أكرا - كونا كرى)... و غيرها من الدول الداعية إلى الاستقلال و تحرير الشعوب. استهلّت الإذاعة الوطنية الثورية الجزائرية رسالتها بإيقاظ الروح الوطنية و ترسيخ الأصالة و الدعوة إلى الوحدة و التضامن و نشر العدالة الاجتماعية، و غيرها من الدعوات الثقافية و السياسية لحصانة الثوابت الوطنية و حماية الهوية.

السينما

أنشأت وزارة الأخبار في الحكومة المؤقتة في سنة 1959 قسما للسينما ، حيث كان يعد الأفلام التسجيلية عن المعارك، و أعمال حرق الجنود الفرنسيين للقرى و المدن، و يصور نضال أفراد المجتمع الجزائري بمختلف شرائحه ضد الاستعمار. و في سنة 1960 تم عرض فلم (جزائرننا) في مهرجان ليبزيغ بألمانيا الشرقية و حصل على جائزة. كما أعد هذا القسم ستة أفلام تسجيلية و تم توزيعها على محطات تلفزيونية بسم بعض الشركات العالمية³¹.

مكاتب الإعلام بالخارج:

تمثل المكاتب الإعلامية الامتداد الخارجي للوجود الإعلامي القومي، حيث أنها نافذة الجزائر المفتوحة على الرأي العام العالمي و التي تعطي فيضا متواصلا من الحقائق الصادقة عن جبهة و جيش التحرير و

²⁸ قدور ريان : الاذاعة السرية " صوت الجزائر الحرة المكافحة " التسليح و المواصلات اثناء الثورة التحريرية 1956 - 1962،

المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة اول نوفمبر 1954 الجزائر 2001 ص ص 51 - 52

²⁹ الأمين، بشيشي. "دور الإعلام في معركة التحرير"، ثقافة، العدد 104 ، وزارة الثقافة الجزائر ، 1994 ، ص.54-59.

³⁰ قدور ريان ، المرجع السابق ، ص ص 51 - 52

³¹ بوعلام رمضان، المسرح الجزائري بين الماضي والحاضر، المكتبة الشعبية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، ص 21 22.

أنشطتهما المختلفة³² و كان لا بد من الرد على الأفكار التي بثها الإعلام الفرنسي و سعى من خلالها إلى إقناع العالم أجمع بأن ما يجري في الجزائر شأن داخلي و أن المجاهدين عبارة عن خارجين عن القانون الفرنسي و متمردين يسعون إلى زعزعة الاستقرار و زرع البلبلة في منطقة الشمال الإفريقي و من ثمة فإنه لا يحق لأي كان التدخل في الشؤون الفرنسية ، و لهذا كان على جبهة التحرير اتخاذ الإجراءات الكافية تحسبا لمراوغات ديغول و تلاعبه بالألفاظ و المفاهيم التي قد يظل بها المجتمع الدولي³³ و في هذا الإطار سعت جبهة التحرير الوطني لأن تكون حاضرة بقوة في المحافل الدولية و الإقليمية لإبراز عدالة القضية الجزائرية بغية دفع هذه المحافل إلى الاعتراف بالأمر الواقع و تحمل مسؤولياتها لممارسة مزيد من الضغط على فرنسا لإيجاد حل للقضية الجزائرية³⁴

كان الإعلام الخارجي للثورة الجزائرية يعتمد في البداية على النشرات والتصريحات التي تصدر عن جبهة التحرير الوطني في مكاتبها بالخارج، تحت اسم "بعثة جبهة التحرير الوطني" التي كانت تقوم بالدعاية و النشاط الدبلوماسي في نفس الوقت. و أول مكتب إعلامي فتح بالقاهرة سنة 1955، ثم فتحت مكاتب أخرى في بعض البلدان العربية في دمشق، بيروت، وجدة، عمان و طرابلس، أما تونس و المغرب فقد فتحت بهما مكاتب بعد استقلالهما سنة 1956.

و قد ركزت جبهة التحرير الوطني على الاستثمار في الدول المرتبطة بعلاقات ودية مع فرنسا و التي تبدي في نفس الوقت استعدادها للمساعدة على تسريع حل المشكل الجزائري³⁵، و على هذا الأساس قامت الجبهة بفتح مكتب إعلامي لها في نيويورك في مارس 1956. و في أبريل وماي 1956 فتحت مكاتب جديدة في جاكارتا و نيودلهي و كراتشي. وفي عام 1957 فتحت مكاتب في الدول الاشتراكية في كل من براغ، موسكو، بكين وبلغراد. و في أمريكا اللاتينية فتحت الجبهة مكاتبها في البرازيل و الأرجنتين. و تمكنت الجبهة من تحدي الدعاية الفرنسية أمام الرأي العام الأوربي و فتحت مكاتب إعلامية في لندن و استكهولم و روما وجنيف سنة 1958.

و في إفريقيا بدأت الجبهة نشاطها بالمشاركة في مؤتمر أكرا عام 1958، فبعد حصول بعض الدول الإفريقية على استقلالها بادرت إلى فتح مكاتب إعلامية في كل من أكرا وباماكو. و في شرق إفريقيا حيث ظلت معظم دوله خاضعة للاستعمار اكتفت الجبهة بإرسال بعثات دعائية إلى كينيا وأوغندا.

³² محمد علي ابو العلا ، المرجع السابق ص 184

³³ لزهرة بن ديدة ، المرجع السابق ص 99

³⁴ نفس المرجع ص 99

³⁵ وثائق المجلس الوطني للثورة الجزائرية ، محفوظات مؤتمر طرابلس الاول 1959 - 1960 ، تقرير السياسة العامة ، علبة مصورة رقم CO 17 المركز الوطني للارشيف ، الجزائر

و بعد تشكيل الحكومة المؤقتة في سبتمبر 1958، استحدثت فيها وزارة سميت بـ "وزارة الأخبار" تتولى مهمة الدعاية والإعلام الداخلي و الخارجي³⁶ و كان يرأسها السيد محمد يزيد. كانت هذه الوزارة مسؤولة عن كل ما يتعلق بالعمل الإعلامي للثورة، من إصدار النشرات السياسية وعقد المؤتمرات الصحفية للرد على الدعايات الفرنسية المغرضة. كما كانت تشرف على وسائل الإعلام الأخرى مثل مكاتب الإعلام الخارجي، وجريدة المجاهد والإذاعة ولجان الدعاية الداخلية. وقامت الوزارة بإنشاء قسم للسينما في سنة 1959، وأسست وكالة الأنباء الجزائرية سنة 1961، وأنشأت مكتبا للوثائق والمعلومات يقوم بجمع ما يكتب عن القضية الجزائرية في الصحافة العالمية، وإبلاغ وزير الأخبار أثناء تنقلاته بملخص عما كتبه الصحافة العالمية عن القضية.

العمل الدبلوماسي الإعلامي في المحافل الدولية :

كانت المشاركة الجزائرية في مؤتمر باندونغ 1955 فعالة جدا حيث شاركت بوفد ملاحظ لأول مرة في الميدان الدولي و استطاعت ان تكسب التأييد للقضية الجزائرية على الرغم من انه لم تمض الا بضعة اشهر على اندلاع الثورة التحريرية ، حيث قامت بحملة دعائية واسعة النطاق في صفوف المؤتمرين لصالح القضية الجزائرية ، أما مؤتمر طنجة الذي عقد في أفريل 1958 فقد كان فرصة للجزائر لترويج قضيتها بحكم التغطية الإعلامية الواسعة التي حظي بها طيلة الأربعة أيام من أشغاله من مختلف الصحف القوية الحضور آنذاك، حيث شهدت الصحافة العربية والدولية حضورا كثيفا و تابع أشغال المؤتمر أكثر من 150 ممثلا للصحافة العالمية³⁷ و كانت عاصمة غانا "أكرا" هي الأخرى مقرا لمؤتمر إفريقي أواخر سنة 1958، حيث طلب المؤتمرين ضرورة مساعدة الشعب الجزائري في استرجاع سيادته المسلوبة، و كذا كان الحال في مؤتمر كونا كري، حيث رفعت الراية الجزائرية، أما في مؤتمر منروفيا 1959 بليبيريا، فقد صادقت الدول الإفريقية على لائحة تطالب كل الدول الإفريقية بالاعتراف بالحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية و تقديم عون مادي لجيش التحرير الوطني، ثم راسلت مجموعة الدول الآفروآسيوية الأمين العام للأمم المتحدة بتاريخ 20 جويلية 1960، تطالبه بإعادة إدراج القضية الجزائرية في دورة الأمم المتحدة ال 15.

لقد مكن الإعلام الخارجي و الدبلوماسي الفعال للثورة من تحديد الأصدقاء الذين يعملون على فرضها كقضية دولية و طرحها على هيئة الأمم المتحدة و معرفة الأعداء الذين فضلوا السير في الفلك الفرنسي القاضي بعزل جبهة التحرير الوطني على المستوى الدولي³⁸ استطاعت دبلوماسية الثورة أن تفرض تواجد القضية

³⁶ للإعلام الخارجي منطقه الخاص به فهو رسالة موجهة الى جمهور يفترض انه واع و مدرك و عليه فاحتياجاته كبيرة للحقائق و المعلومات و لهذا أسست الحكومة المؤقتة هذا المنبر الاعلامي الرسمي حتى يتسنى لها الاشراف الكامل على هذا الاعلام

الحساس ينظر : محمد علي ابو العلا ، المرجع السابق، ص 166

³⁷ معمر العايب مؤتمر طنجة المغاربي دراسة تحليلية تقييمية دار الحكمة الجزائر 2009 ص 163

³⁸ زهر بن ديدة ، دراسات في تاريخ الثورة الجزائرية و ابعادها الإفريقية ، دار السبيل للنشر و التوزيع 2009 ص 101

الجزائرية داخل أروقة الهيئة الأمامية منذ دورتها 10 سنة 1955 رغم المعارضة الشديدة التي أبدتها فرنسا المدعمة من الحلف الأطلسي.³⁹

ختاما لهذا البحث يمكن التأكيد على أن الوسائل الإعلامية المختلفة التي اعتمدت عليها الثورة مهما كانت بسيطة تعتبر أسلوبا راقيا للتأثير السياسي و الاجتماعي و المعنوي على الجميع. لقد استطاعت الوصول إلى هذه الدرجة حينما اعتمدت على القضايا الحية في الميدان و التي تزود الدعاية الجزائرية بالحقائق الملموسة يوميا، بعيدا عن التصنع و الفبركة. و حققت بذلك كل عناصر العملية الاتصالية برجع الصدى الذي ينبع من المتلقي و تحققت دائرية الاتصال برد الفعل الثوري من الشعب الجزائري.

لقد حملت وسائل الإعلام المختلفة و على رأسها بيان أول نوفمبر التاريخي المشاعر الوطنية، القيم الفكرية، المنطلقات الأيديولوجية، الدلالة السياسية و الآفاق المستقبلية لما يمكن أن نعتبره نظرية أو مشروع مجتمع متكامل المضامين و الأبعاد، و سعى إلى إعادة تأسيس الدولة الوطنية التي غيبتها الاحتلال ، و إننا لا نبالغ إن قلنا أن بيان أول نوفمبر هو أكبر و أول عمل إعلامي هام ذو مفاهيم عميقة و رؤية استراتيجية شاملة للثورة التحريرية ، و ذو بعد أيديولوجي وطني مستمد من تاريخ و وطنية هذا الشعب ، و هذا البيان لا يزال يلقي بضلاله على وسائل الاعلام في الجزائر المستقلة و يدعوها إلى استكمال مسيرة التحرير بالمفهوم الشامل و الدفاع عن الوطن و إظهاره في أحسن صورة أمام العالم

³⁹ لزهرة بن ديدة ، دراسات في تاريخ الثورة الجزائرية و ابعادها الإفريقية ، دار السبيل للنشر و التوزيع 2009 ص 118